المؤتمر الدولي الأول لطلبة الدراسات العليا تحت عنوان:
القضايا المعاصرة في العلوم الإسلامية، التحديات والحلول

عنوان البحث:

ضوابط قراءة وفهم القرآن الكريم بين المتقدمين وأصحاب القراءة المعاصرة

Controls for reading and understanding the Holy Qur'an among contemporary readers and classicists

تاريخ المؤتمر 27-28 فبراير 2024

الجهة المنظمة:

جامعة كارابوك – تركيا كلية العلوم الإسلامية

الاسم واللقب: رضوان لخشين

الرتبة: أستاذ التعليم العالي

مؤسسة الانتماء: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة

كلية أصول الدين

قسم الكتاب والسنة

البريد الالكتروني: redlek21@gmail.com

الطالبة: حياة بومليحة

البريد الإلكتروني: athine_18@hotmail.fr

مؤسسة الانتماء: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة

كلية أصول الدين

قسم الكتاب والسنة

ملخص:

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه، أمّا بعد:

فإنّ القرآن الكريم كتاب رب العالمين نزل به الروح الأمين على النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، نزل هدى للعالمين، نزل بالهدايات والأحكام والعظات، فهمه العرب الذي نزل فيهم بسليقتهم السليمة، ووعوا مضامينه وأوامره ونواهيه، فأخذ بهم إلى المعالي وسما بهم فسادوا الأمم. فكان بذلك قائدهم في عصر ساد فيه ظلام الجاهلية وأحكامه الجائرة. أمّا في عصرنا وقد تراجعت الأمة الإسلامية وضعفت ومرضت مجتمعاتها أصبح بعض المفكرين يدعون إلى قراءة حديثة للقرآن الكريم؛ قراءة تبتعد عن الموروث والأصيل وتدعو إلى التحرر مما يرونه فهم الأوّلين وقراءتهم للقرآن الكريم، وقراءته قراءة معاصرة تواكب الحاضر وتطوراته .

لذا جاء هذا البحث يدرس الفرق بين ضوابط فهم القرآن الكريم عند المتقدمين وأصحاب القراءة المعاصرة، ليُقدم إجابات عن إشكاليات، أهمّها: ما هي الضوابط التي دعا إليها المتقدمون في فهم القرآن الكريم؟، وما هي الضوابط التي تبناها أصحاب القراءة المعاصرة لفهم القرآن وقراءته قراءة معاصرة؟ وأيّ الفريقين أحق بالصواب؟ متبعا لأجل ذلك المنهج التحليلي، وبغية الوصول إلى نتائج أهمّها بيان مدى خدمة هذه الضوابط التي دعا إليها أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن الكريم فهما وتدبرا وعملا.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم- ضوابط- فهم القرآن- القراءة المعاصرة- محمد آركون- محمد عابد جابري.

Abstract:

The Holy Qur'an is the Book revealed by Allah to His Prophet, may Allah'S blessing and peace be upon him, as a guidance for the worlds. It revealed with guidance, rulings, and sermons. The Arabs, to whom it was revealed, understood it with their sound nature, and be aware of its contents, orders and prohibitions, he took the so high so they prevailed over the nations. Thus, he was their leader in an era in which the darkness of pre-Islamic times and its unjust rulings prevailed. However, in our time, when the Islamic nation has regressed, weakened, and its societies have become ill, some thinkers have begun to call for a modern reading of the Holy Qur'an. A reading that distances itself from the inherited and the authentic and calls for liberation from what they see as the understanding of the ancients and their reading of the Holy Qur'an, and for

reading it a contemporary reading that keeps pace with the present and its developments.

Therefore, this research studies the difference between the controls for understanding the Holy Qur'an among the classicists and contemporary readers, to provide answers to problems, the most important of which is: What are the controls that the classicists called for in understanding the Holy Qur'an? What are the controls adopted by contemporary readers to understand the Qur'an and read it in a contemporary way? Which of the two groups is more deserving of the right thing? following the analytical approach for that purpose, and in order to reach results, the most important of which is an explanation of the extent to which these controls -that those who have contemporary reading called for - serve the Holy Qur'an in terms of understanding, contemplation, and action.

Keywords: The Holy Qur'an - Controls - Understanding the Qur'an - Contemporary Reading - Mohammad Arkoun - Mohammad Abed Al-Jabri

مقدّمة:

القرآن الكريم هو رسالة الله إلى خلقه أجمعين، خاطب الله به العباد وقصد منه أن يفهم الناس به ويعتبروا منه أمور دينهم ودنياهم، فكان النبي -صلى الله عليه وسلّم- يُفهم أصحابه ما استشكل عليهم من الآيات، وأفهم أصحابه مِن بَعدِه من جاء بعدهم من التابعين، إلى أن انبرى المفسرون إلى كتابة التفاسير التي تُعين الناس على فهم كتاب رب العالمين، فكان لكتاباتهم وتفسيرهم لكلام الله ضوابط. وقد سعى هذا البحث إلى إبراز أهمّ هذه الضوابط التي التزمها المتقدمون لفهم كتاب الله، وفيه أيضا طرح لأهمّ ما اعتقده أصحاب القراءة المعاصرة معينا على فهم القرآن وقراءته، واكتفت هذه الورقة البحثية بالتمثيل لهؤلاء المعاصرين من خلال شخصيتي محمد آركون

ومحمد عابد الجابري، ليُلاحظ في الأخير مدى البعد والاختلاف الكبير بين رأي المتقدمين وما يدعو إليه أصحاب القراءة المعاصرة. وابتدأ هذا البحث بموقف المتقدمين لأنهم الأسبق والأصح وحجة لمن بعدهم، ثم يليه رأي أصحاب القراءة المعاصرة كفكر جديد طرح أفكارا لا تتجاوز صفحات كتبهم، فلم تنتج لنا تفاسير قيمة تعين على فهم القرآن. وكذلك كانت البداية بالمتقدين كتأصيل للمادة وردٍ مسبق على أصحاب القراءة المعاصرة حيث تعذر الردّ على آرائهم ومناقشتها بإسهاب في هذه العجالة البحثية. ولتحقيق الأهداف المرجوة من هذا البحث اعتُمِد المنهج التحليلي.

المبحث الأول: أهمّ ضوابط فهم القرآن الكريم عند المتقدمين

الضابط الأول: أنّ القرآن معجز

أعجز الخليقة عن معارضته وعن الإتيان بسورة من مثله في مقابلته، وسهلٌ على الخلق مع إعجازه تلاوتُه...هو كلام معجز وبحر عميق، لا نهاية لأسرار علومه، ولا درك لحقائق معانيه.[1]

ومن أهمّ أوجه إعجاز القرآن حيث أعجز العرب عن الإتيان بمثله:

أحدها: هو الإيجاز والبلاغة، حتى يشتمل يسير لفظه على كثير المعاني، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: 179]، فجمع في كلمتين، عدد حروفهما عشرة أحرف، معاني كلام كثير.

والثاني: أنّ وجه إعجازه هو البيان والفصاحة التي عجز عنها الفصحاء، وقصّر فيها البلغاء، حكى أبو عبيد، أنّ أعرابيا سمع رجلا يقرأ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: 79] فسجد، وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام.

---

[1] الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ- 1997 م)، 33/1.

والثالث: أنّ وجه إعجازه، هو الوصف الذي تنقضي به العادة، حتى صار خارجا عن جنس كلام العرب من النظم، والنثر، والخطب، والشعر، والرجز، والسجع، مع كون ألفاظه وحروفه في كلامهم، ومستعمله في نظمهم ونثرهم.

والرابع: أن وجه إعجازه، هو أن قارئه لا يكلّ، وسامعه لا يملّ، وإكثار تلاوته تزيده حلاوةً في النفوس.

والخامس: أنّ وجه إعجازه، هو ما فيه من الإخبار بما كان مما علموه، أو لم يعلموه، فإذا سألوا عنه، عرفوا صحته، وتحققوا صدقه، كالذي حكاه من قصة أهل الكهف، وشأن موسى والخضر، وحال ذي القرنين، وقصص الأنبياء.[1]

الضابط الثاني: موافقة معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لمعاني كلام العرب، وكون ظاهره لظاهر كلامها ملائما:

يقول الطبري: "كان معلوما أنّه غير جائز أن يُخاطب جل ذكره أحدا من خلقه إلا بما يفهمه المخاطب، ولا يرسل إلى أحد منهم رسولا برسالة إلا بلسان وبيانٍ يفهمه المرسل إليه؛ لأن المخاطب والمرسل إليه إن لم يفهم ما خوطب به وأرسل به إليه، فحاله قبل الخطاب وقبل مجيء الرسالة إليه وبعده سواء، إذ لم يفده الخطاب والرسالة شيئا كان به قبل ذلك جاهلا، والله جل ذكره يتعالى عن أن يخاطب خطابا أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب أو أرسلت إليه"،[2] ولأن ذلك فينا "من فعل أهل النقص والعبث، والله تعالى عن ذلك متعال، ولذلك قال جل ثناؤه في محكم تنزيله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ ﴾ [إبراهيم: 4]، وقال لنبيه

---

[1] أنظر: علي بن محمد بن محمد بن حبيب، تفسير الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.)، 1/ 30-33.

[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (الجيزة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1422 هـ -2001 م)، 1/ 11.

محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 64]".[1]

وأنّه نزل بلسان العرب ولغتها، وأنّ كلّ رسولٍ لله جل ثناؤه أرسله إلى قوم فإنما أرسله بلسان من أرسله إليه، وكل كتاب أنزله على نبي، ورسالة أرسلها إلى أمّة، فإنما أنزله له بلسان من أنزله أو أرسله إليه.[2]

فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهره لظاهر كلامها ملائما، وإن باينه كتاب الله بالفضيلة التي فضل بها سائر الكلام والبيان بما قد تقدم وصفنا.[3] فإذا كان ذلك كذلك؛ فبيّن أنّه "إذ كان موجودا في كلام العرب الإيجاز والاختصار، والاجتزاء بالإخفاء من الإظهار، وبالقلة من الإكثار، في بعض الأحوال، واستعمال الإطالة والإكثار، والترداد والتكرار، وإظهار المعاني بالأسماء دون الكناية عنها، والإسرار في بعض الأوقات، والخبر عن الخاص في المراد بالعام الظاهر، وعن العام في المراد بالخاص الظاهر ... أن يكون ما في كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك في كل ذلك له نظيرا، وله مثلا وشبيها.".[4]

الضابط الثالث: معرفة وجوه تفسير القرآن

إحداها: أنّ معرفة بيانه يكون أولا عن طريق بيان النبي صلى الله عليه وسلم له:

قال تعالى مخاطبا نبيّه محمدا صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]، يقول الطبري: "فقد تبين ببيان الله جل ذكره، أن مما أنزل الله من القرآن، على نبيه صلى الله عليه وسلم، ما لا يوصل إلى علم تأويله، إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك تأويل جميع ما

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 11.

[2] أنظر: المصدر نفسه، 1/ 11، 20.

[3] المصدر نفسه، 1/ 12.

[4] تفسير الطبري، 12- 13.

فيه، من وجوه أمره: وواجبه، وندبه، وإرشاده وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه، وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيه، التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته".[1]

ثانيا: أنّ في القرآن ما لا يعلم تأويله إلا الله عز جل:

"وأنّ منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار: وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية، كوقت قيام الساعة، والنفخ في الصور، ونزول عيسى ابن مريم، وما أشبه ذلك؛ فإن تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها، ولا يعرف أحد من تأويلها إلا الخبر بأشراطها، لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه".[2]

ثالثا: وأنّ فيه ما يُعلم تأويله من لسان العرب ولغتهم:

ومن ذلك: "إقامة إعرابه، ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها، والموصوفات بصفاتها الخاصة دون ما سواها، فإن ذلك لا يجهله أحد منهم، وذلك كسامع منهم لو سمع تاليا يتلو: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 11-12]، لم يجهل أن معنى الإفساد هو ما ينبغي تركه مما هو مضرة، وأن الإصلاح هو ما ينبغي فعله، مما فعله منفعة".[3]

الضابط الرابع: عدم القول في تفسير القرآن بمجرد الرأي

فالقائل في تأويل كتاب الله الذي لا يُدرك علمه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جعل الله إليه بيانه، قائل بما لا يعلم، وإن وافق قيله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه، لأن القائل فيه بغير علم، قائل على

---

[1] المصدر نفسه، 68/1.

[2] المصدر نفسه، 1/ 68.

[3] تفسير الطبري، 1/ 69.

الله ما لا علم له به[1]، ومتى تكلَّم في القرآن من غير أن يكون متبحِرا في علم الأصول، وفي علم اللغة والنحو كان في غاية البعد عن الله. [2] ولهذا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». [3]

الضابط الخامس: معرفة أسباب النزول

ولا يكون ذلك إلا بما صح نقله، قال البغوي: " أما التفسير: وهو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها، فلا يجوز إلا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل". [4]

الضابط السادس: معرفة الناسخ والمنسوخ

وأما النسخ فهو يتعلق بالأحكام لأنها محل النسخ إذ لا تنسخ الأخبار ولا بدّ من معرفة ما وقع في القرآن من الناسخ والمنسوخ، والمحكم وهو ما لم ينسخ، وقد صنف الناس في ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة وأحسنها تأليف القاضي أبي بكر بن العربي. [5] قال القرطبي: معرفة هذا الباب أكيدة وفائدته عظيمة، لا يستغني عن معرفته العلماء، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء، لما يترتب عليه من النوازل في الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام. [6] وروى

---

[1] المصدر نفسه، 1/ 72.

[2] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420 هـ)، 7/ 148.

[3] محمد ابن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، "كتاب العلم"، 38 (رقم 107، 108، 109، 110)، "كتاب الجنائز"، 33 (رقم 1291)، "أحاديث الأنبياء" 51 (رقم 3461)، "المناقب" 6 (رقم 3508)، "الأدب" 108 (رقم 6194).

[4] تفسير البغوي، 1/ 46.

[5] محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي الكلبي الغرناطي، لتسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي (بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1416 هـ)، 17/1.

[6] شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ - 1964 م)، 2/ 62.

أبو عبيد بن سلام أنّ عليّ بن أبي طالب –رضي الله عنه– مرّ بقاصّ يقص فقال: هل علمت الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت.[1]

الضابط السابع: معرفة فضائل القرآن

وذلك أن يستشعر المؤمن من فضل القرآن أنّه كلام رب العالمين، غير مخلوق، كلام من ليس كمثله شي، وصفة من ليس له شبيه ولا ند، فهو من نور ذاته جل وعز ... ولولا أنه– سبحانه– جعل في قلوب عباده من القوة على حمله ما جعله، ليتدبروه وليعتبروا به، وليتذكروا ما فيه من طاعته وعبادته، يقول– تعالى جده– وقوله الحق: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ﴾ [الحشر: 21]".[2] ورُوي عن عثمان بن عفان أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" خيركم من تعلم القرآن وعلمه".[3] وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف".[4]

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة".[5] قال ابن كثير: "وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء، وعلى كل كتاب أنزله، وذلك أن معنى الحديث: ما من نبي إلا أعطي من المعجزات ما آمن عليه البشر، أي: ما كان دليلا على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من اتبعه من

---

[1] أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، تحقيق: محمد بن صالح المديفر (الرياض: مكتبه الرشد ، ط3، 1418 هـ - 1997 م)، 4/1.

[2] تفسير القرطبي، 1/ 4.

[3] البخاري، "فضائل القرآن"، 21 (رقم 5027).

[4] محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998 م)، "أبواب فضائل القرآن"، 16 (رقم 16 (رقم 2910).

[5] البخاري، "فضائل القرآن"، 1 (رقم 4981).

البشر، ثم لما مات الأنبياء لم يبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهده في زمانه"[1]، وأمّا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم: "فإنما كان معظم ما آتاه الله وحيا منه إليه منقولا إلى الناس بالتواتر، ففي كل حين هو كما أنزل، فلهذا قال: "فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا"، وكذلك وقع، فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته ودوامها إلى قيام الساعة، واستمرار معجزته".[2]

الضابط الثامن: الرغبة في فهم القرآن والإحاطة بمعانيه

يقول الرازي عن القرآن الكريم: "كونه نازلا من عند الإله الرحمن الرحيم يدل على اشتماله على أفضل المنافع وأجل المطالب، وكونه قرآنا عربيا مفصلا يدل على أنه في غاية الكشف والبيان، وكونه بشيرا ونذيرا يدل على أن الاحتياج إلى فهم ما فيه من أهم المهمات، لأن سعي الإنسان في معرفة ما يوصله إلى الثواب أو إلى العقاب من أهم المهمات، وقد حصلت هذه الموجبات الثلاثة في تأكيد الرغبة في فهم القرآن وفي شدة الميل إلى الإحاطة به".[3]

الضابط التاسع: أنه أُنزل للناس كافة

يقول ابن كثير: "فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعجم، وأسود وأحمر، وإنس وجان، فهو نذير له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: 17]، فمن كفر بالقرآن ممن ذكرنا فالنار موعده، بنص الله تعالى، وكما قال تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ﴾ [القلم: 44، 45]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بعثت إلى الأحمر والأسود"[4]. قال

---

[1] إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999 م)، 1/ 20.

[2] المصدر نفسه، 1/ 20.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، 27/ 540.

[4]: محمد بن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1408هـ- 1988م)، "التاريخ"، 3 (رقم: 6462).

مجاهد: يعني: الإنس والجن. فهو –صلوات الله وسلامه عليه–رسول الله إلى جميع الثقلين: الإنس والجن، مبلغا لهم عن الله ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز".[1]

المبحث الثاني: ضوابط قراءة وفهم القرآن الكريم عند أصحاب القراءة المعاصرة

1. ضوابط قراءة وفهم القرآن الكريم عند محمد آركون

أولا: أوّل ضابط يطرحه آركون هو التعرف على الشيء المقروء، لذا يطرح السؤال الآتي: ما الشيء الذي سنقرأه؟

يقول آركون في جوابه عن الشيء الذي سنقرأه: "من الناحية الألسنية أو اللغوية يُمكن القول بأنّ القرآن عبارة عن مدونة منتهية ومفتوحة من العبارات أو المنطوقات المكتوبة باللغة العربية. وهو مدونة لا يمكن أن نصل إليها إلاّ عن طريق النص الذي ثُبِّت حرفيا أو كتابيا بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. إنّ كلية النص المثبّت على هذا النحو كانت قد عُوملت بصفتها كتابا واحدا أو عملا متكاملا".[2] [3]

فمثلا عند قراءته لسورة الفاتحة يقول: "النص الذي نريد قراءته قصير نسبيا، وهو يُشكل جزء من نص أكبر وأكثر اتساعا كان قد نقل إلينا تحت اسم القرآن".[4]

---

[1] تفسير ابن كثير، 1/ 6.

[2] محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مترجم: هاشم صالح (بيروت: دار الطليعة، ط1، 2005م)، 113- 114.

[3] أخطأ آركون في ادعائه أنّ القرآن لم يثبت حرفيا أو كتابيا إلا بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وإنّما كانت بداية تدوين القرآن من زمن النبي صلى الله عليه وسلم أي زمن نزوله، فعن زيد بن ثابت قال: «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع ..» [الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ- 1990 م)، "التفسير"، 1 (رقم 2901)]. كما اتخذ النبي –صلى الله عليه وسلم– كتبة يكتبون له الآيات، فكلما نزل عليه شيء من القرآن نادى بكتبة يكتبون له: قال عثمانُ: كان النبي صلى الله عليه وسلم مِمَّا تَنَزَّلُ عليه الآيَات فيدعو بعضَ مَن كان يكتب له، وَيَقُول لهُ: «ضَعْ هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا، كَذَا وَكَذَا»، وَتَنزِلُ عليه الآيَة والآيَتَانِ فَيَقُولُ: مثل ذلك. [سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: المكتبة العصرية، "الصلاة" (ح 786)]. قال الخازن: "وثبت بالدليل الصحيح أن الصحابة إنما جمعوا القرآن بين الدفين كما أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئا. والذي حملهم على جمعه ما جاء مبينا في الحديث وهو أنه كان مفرقا في العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته". الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، 1/ 9.

[4] محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، 113.

ولقراءة القرآن عند آركون أمورٌ يجب اعتبارها، أهمّها:

1- **عدم أهمية أسباب النزول**: يقول آركون: "إنّ القرآن مدونة متجانسة قد أُنتجت في نفس الوضعية العامة للكلام (أو نفس الظرف العام للخطاب)[1]. ويُشير آركون بذلك إلى عدم أهمية أسباب النزول، فيقول: "كان المسلمون قد أنشأوا علما يبحث عن تحديد أسباب النزول الخاصة بكل آية، ولكن هذه الأسباب لا تشمل جميع الظروف المتعلقة بالوضعية العامة للخطاب، بل بعيدة جدا عن ذلك، في الواقع أسباب النزول ليست إلا ذريعة أو تعلّة، إنها عبارة عن الأسباب الخارجية، أو نوع من القصة القصيرة المرافقة لكل آية". [2]

2- **نزع القداسة عن القرآن**: يعتبر آركون القرآن مدوّنة وهذه المدونة أنها منتهية ومحدّدة بالآيات، وباعتبارها كذلك يجب تجنب القراءة التي تنطلق من كون القرآن كتابا مقدسا ومعجزا، والتي تُستمد من علوم اللغة وأسباب النزول والمأثور (المصادر السابقة)، يقول آركون: "هذه المدونة منتهية بمعنى أنها محصورة أو مغلقة أو ناجزة، إنها حاليا محدودة أو محصورة بعدد معيّن من العبارات أو الآيات التي تشكلها، كما أنها ناجزة ومكتملة من حيث صيغة التعبير وصيغة المضمون ... إنّ مفهوم الإنجاز أو الإكمال والتمام هذا يجنّبنا من السقوط في وهدة القراءة التبجيلية التي تلح بشكل أساسي على الطابع المعجز للقرآن، كما ويجنبنا من الاكتفاء بالقراءة الفيلولوجية التي تبحث عن المصادر السابقة المؤثرة في النص".[3]

3- **القرآن مدوّنة مفتوحة تقبل أنواع النقد والتحسينات**: هذه المدونة –كما يرى آركون- رغم محدوديتها واكتمالها فهي مفتوحة أو منفتحة على السياقات الأكثر تنوعا والتي تنطوي عليها كل قراءة أو تفرضها،

---

[1] المصدر نفسه، 114.

[2] المصدر نفسه، 115.

[3] آركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، 115.

كما نستطيع أن نقبل – يضيف آركون- تاريخيا بأنها تظل مفتوحة على التحسينات النصية التي يقدّمها النقد اللغوي – التاريخي.[1]

4- **التمييز بين القرآن ككلام شفهي والقرآن ككتاب،** فالقرآن الشفوي الذي تلفظ به النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي يتلوه المسلمون والقرآن ككتاب بهذه الاعتبارات يقودنا الأمر إلى ثلاث أنواع للقراءات كما يرى آركون ويقرر.[2]

5- **إعادة قراءة القرآن:** يقول آركون: "إنّ هذا النص (القرآن) كان قد عومل بصفته عملا متكاملا أو كتابا واحدا. وهذا يعني أنّه ما انفك يُقرأ المرة تلو المرة، وأنّه يستمر في مطالبتنا بإعادة قراءته من دون أن تكون مدلولاته المضمرة أو الاحتمالية قد تجلت كليا وبشكل صحيح. وربما يستحيل ذلك التحقق في أي يوم من الأيام؟.[3]

إذن يرى آركون أنّ إعادة القراءة كما يراه هو أمر مستحيل، ولذلك يكتفي بذكر فرضيات يقترحها هو، فيقول: "فيما يخص إعادة القراءة الكليانية للنص –العمل المتكامل، وسوف نكتفي في اللحظة الراهنة بصياغتها على هيئة فرضيات".[4] إذن إعادة القراءة التي يتخيلها آركون أمر مستحيل يدور حول فرضيات يقترحها، فهل ستحقق الدعوة إلى إعادة قراءة القرآن الغرض منه ومن فهمه والعمل به وبمقاصده، أم أنّها مجرد أوهام أملتها عقول أصحاب القراءة المعاصرة على أصحابها؟

ثانيا: القراءة المثالية للقرآن مستحيلة

---

[1] المصدر نفسه، 116.

[2] المصدر نفسه، 116

[3] آركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، 116.

[4] المصدر نفسه، 116- 117.

يرى آركون أن القراءة المثالية للقرآن هي التي تستطيع وصف الوضعية العامة للخطاب بشكل شمولي كامل، أي أنها تستطيع أن تصف الظروف التي لُفظت فيها السورة بشكل شفهي لأول مرة وهو الذي يراه مستحيلا.[1]

فمثلا عند قراءة الفاتحة، يقول: "هذا النص القصير الموضوع في رأس المدونة القرآنية –ومن هنا اسم الفاتحة الذي خلع عليها فيما بعد– يحتل في الترتيب الكرونولوجي الرقم 46، ولذا يمكن القول بأنه من المفيد، على الأقل تاريخيا، أن نقرأ الفاتحة من خلال السياق الممتد من السورة رقم (1) إلى السورة رقم (46)، ولكن بشرط أن يكون هذا الترتيب التاريخي لسور القرآن صحيحا بشكل قاطع، ثم على الأخص، ألا تكون السورة غائبة عن مدونة (مصحف) ابن مسعود أو مدونة ابن العباس".[2]

باختصار ومما سبق يرى آركون أنّ القراءة المثالية للقرآن هي القراءة التي تتوفر فيها شروط، أهمّها:

- أن تصف ظروف المحيطة بالآية لحظة نزولها وهو ما يُسميه الظروف التي لُفظت فيها السورة بشكل شفهي لأول، وهو أمر اعتبره آركون مستحيلا.
- أن ترتب الآيات والسور ترتيبا تاريخيا صحيحا قاطعا.
- ألاّ تكون السورة غائبة عن مصحف ابن مسعود أو مصحف ابن عباس.

وآركون طبعا جانب الحقيقة في أقواله التي تتضمن طعنا في القرآن واستصغار في حقه إذ أنه يرى القرآن الكريم مدونة لا تتجاوز الزمان والمكان التي نزلت في والقرآن الكريم نزل للناس كافة في كل زمان ومكان، كما أنّه يُشكك في القرآن الذي بين أيدينا وكأنه ليس هو الموجود في مصحف ابن مسعود ومصحف ابن عباس والقرآن كما هو معلوم محفوظ من التحريف والتبديل بحفظ الله تعالى له.

ثالثا: البروتوكولات الثلاثة للقراءة حسب محمد آركون

---

[1] أنظر: محمد آركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، 118.

[2] المصدر نفسه، 118.

يرى محمد أركون أنه لفهم القرآن (قراءته) هناك ثلاث بروتوكولات:

أولا: بروتوكول القراءة الطقسية أو الشعائرية: ويقصد بها ما يفهمه المسلمون عند قراءتهم للقرآن.

ثانيا: البروتوكول الثاني للقراءة (البروتوكول التفسيري).

البروتوكول الثالث: والذي يقول آركون عنه أن هذا البروتوكول للقراءة هو ما سيحاول اتباعه، وقد سماه البروتوكول الألسني النقدي، وهذا البروتوكول يعتمد على:

– القراءة اللغوية (الألسنية): يقول آركون: "سوف تكون قراءتنا ألسنية أو لغوية أولا، لأنها تهدف بقدر الإمكان إلى تبيان القيم اللغوية المحضة للنص".

– قراءة نقدية: يقول آركون: نقدية بمعنى أنّ كل ما سنقوله لن يكون له إلا قيمة استكشافية أو فرضية في نظرنا.

– قراءة تتبع مناهج المدارس الألسنية لكنها لا تفضل مدرسة على أخرى لأن هذه المدارس في طور التشكل والتبلور.

– روح البحث أو التساؤل وترك المسائل الأساسية مفتوحة، وهي المسائل التي تقرر مصير مضمون كل قراءة وتوجهها وذلك لأن القرآن –يقول أركون– مثله في ذلك مثل التوراة والأناجيل، عبارة عن نصوص ينبغي أن تقرأ من خلال روح البحث والتساؤل، لأنها يمكن أن تحبذ حصول التقدم الحاسم في ما يخص معرفة الإنسان".[1]

2. ضوابط قراءة وفهم القرآن الكريم عند محمد عابد الجابري

أهمّ الضوابط التي يعتبرها محمد عابد الجابري مهمّة في فهم وقراءة القرآن:

أولا: ترتيب النزول: إعادة ترتيب القرآن حسب زمن النزول

[1] أنظر: محمد آركون، من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، 118- 122.

يقول الجابري: "الجهد المطلوب في عملية الفهم بالنسبة لعملنا هنا، جهد مضاعف سيكون علينا في البداية التأكد من مصداقية أي ترتيب للنزول نأخذ به، وذلك يعني إعادة بناء الترتيب الذي تعطيه اللوائح المروية على أساس الأخذ بالاعتبار المرويات التي تتحدث عن تاريخ نزول هذه السورة أو الآيات".[1]

ثانيا: الدعوة إلى كتابة معاصرة بعلامات تعين على الفهم: وهذه الكتابة تعتمد على:

الفصل والوصل: ويقصد محمد عابد الجابري بالفصل والوصل:

فصل المقروء عن القارئ: وهو ما يجيب عن التساؤل عن كيفية بناء فهم موضوعي لتراثنا (مشكلة الموضوعية)، ويطرح هذا المشكل على مستويين:

- مستوى العلاقة الذاهبة من الذات إلى الموضوع: والموضوعية في هذا المستوى تعني فصل الموضوع عن الذات.
- مستوى العلاقة الذاهبة من الموضوع إلى الذات: والموضوعية في هذا المستوى تعني فصل الذات عن الموضوع، وتحقيق الموضوعية على المستوى الأول مشروط بتحقيقها على المستوى الثاني.[2]

ويبرر الجابري سبب إلحاحه على فصل الذات عن القارئ في القراءة التي يقترها، أنّ القارئ العربي مؤطر بتراثه ومثقل بحاضره، تلقى تراثه بعيدا عن الروح النقدية، فتفكيره مستمد من تراثه بذلك يقرأ النصوص قراءة تذكر لا قراءة مستفهم ومستشكل لهذه النصوص، يقول الجابري: " القارئ العربي مؤطر بتراثه، بمعنى أن التراث يحتويه احتواء يفقده استقلاليته وحريته. لقد تلقى القارئ العربي، ويتلقى، تراث منذ ميلاده ككلمات ومفاهيم ... بدون نقد وبعيدا عن الروح النقدية: فهو عندما يفكر، يفكر بواسطته ومن خلاله، فيستمد منه رؤاه واستشرافاته مما

[1] محمد عابد الجابري، فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول (المغرب: دار النشر المغربية، ط1، 2008م)، 10.
[2] انظر: محمد عابد الجابري، نحن والتراث (المغرب: المركز الثقافي العربي، ط6، 1993م)، 22.

يجعل التفكير هنا عبارة عن تذكر. ولذلك فعندما يقرأ القارئ العربي نصا من نصوص تراثه يقرأه متذكرا لا مكتشفا ولا مستفهما"[1].

فالقارئ في نظره واقع بين السند ومحاولة مواكبة متطلبات عصره ممّا يؤدي به إلى تمزيق وحد النص وتحريف دلالته، ويخرج به عن مجاله المعرفي التاريخي، يقول: "القارئ العربي بالإضافة إلى ذلك مثقل بحاضره يطلب السند في تراثه ويقرأ فيه آماله ورغباته، إنه يريد أن يجد فيه العلم والعقلانية والتقدم ... لذلك تجده عند القراءة يسابق الكلمات بحثا عن المعنى الذي يستجيب لحاجته، يقرأ أشياء ويهمل أشياء، فيمزق وحدة النص ويحرف دلالته، ويخرج به عن مجاله المعرفي والتاريخي".[2]

أمّا الطريقة التي تمكننا من فصل الذات عن التراث والتعامل الموضوعي في النصوص، هي:

أولا: يجب تجنب قراءة المعنى قبل قراءة الألفاظ.

ثانيا: يجب التحرر من الفهم الذي تؤسسه المسبقات التراثية أو الرغبات الحاضرة، يجب وضع كل ذلك (المسبقات والرغبات) بين قوسين والانصراف إلى مهمة واحدة هي استخلاص معنى النص من ذات النص نفسه لا من خلال العلاقات القائمة بين أجزائه.[3]

ثالثا: أصالة النص:

المقصود بأصالة النص –يقول الجابري– على صعيد الفهم، هو هذا النص مجردا من أنواع الفهم له، التي دُوّنت في كتب التفسير باختلاف أنواعها واتجاهاتها. إن الأمر يتعلق هنا أساسا بعزل المضامين الأيديولوجية لتلك الأنواع عن الفهم.[1]

---

[1] المصدر نفسه، 22.

[2] المصدر نفسه، 23.

[3] انظر: الجابري، نحن والتراث، 23.

يقول محمد عابد الجابري: " لقد كنا نطمح إلى أن نوضح كيف أنّ فهم القرآن ليس هو مجرد نظر في نص مُلئت هوامشه وحواشيه بما لا يُحصى من التفسيرات والتأويلات بل هو أيضا "فصل" هذا النص عن تلك الهوامش والحواشي، ليس من أجل الإلقاء بها في سلة المهملات، بل من أجل ربطها بزمانها ومكانها، كي يتأتى لنا "الوصل" بيننا، نحن في عصرنا، وبين "النص" نفسه كما هو في أصالته الدائمة". [2]

كما يرى الجابري أنّ ما دُوّن من تفاسير يكرر بعضها بعضا فيمكن الاستغناء عن كثير منها والاقتصار على المؤلفات المؤسِّسة: مثل التفاسير التي ألّفها بعض علماء اللغة، مثل "مجاز القرآن" و"معاني القرآن"، والتفسيرين الذين يعدان عمدة التفاسير الأخرى: "تفسير الطبري" و"تفسير الزمخشري".[3]

رابعا: الفرق بين لفظ "القرآن" ولفظ "الكتاب

ولأن الجابري يفرق بين معنى لفظ "القرآن" ولفظ "الكتاب"، يرى أن فهم القرآن لا يتطلب سوى سماع قارئ مجيد للقراءة، فيقول كذلك: "أمّا الآن فقد غدا من السهل عليّ القول إنّنا نستطيع أن نتعامل مع أيّة سورة أو أيّة مجموعة من آيات القرآن المتلو، ولا نحتاج في التواصل معها سوى إلى مقرئ يجيد التلاوة، لأن أصل القرآن المتلو يكون "أصل انفجاره من القلب"[4].

وأمّا من أجل فهم الكتاب فيجب تتبع ترتيبه ويقصد به ترتيب النزول، يقول: "أمّا معنى القرآن المكتوب فيتطلب فهمه تتبع ترتيبه ككتاب، فيه السابق واللاحق، على أساس – ولا ضير في تكرار كلام الشاطبي– أنّ: "المدنيّ من

---

[1] محمد عابد الجابري، فهم القرآن الحكيم، 7.

[2] المصدر نفسه، 7.

[3] الجابري، فهم القرآن الحكيم، 10.

[4] انظر: المصدر نفسه، 10.

السور ينبغي أن يكون منزلا في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع بعض والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنزيل وإلا لم يصح الفهم"[1].

خاتمة:

في ختام هذا البحث نخلص إلى نتائج، أهمّها:

- أصحاب القراءة المعاصرة مثل آركون والجابري يطرحون ضوابط وطرق في فهم القرآن وقراءته تختلف تماما عمّا وُجد عند المتقدمين.
- اعتماد المتقدمين من المفسرين في فهم القرآن على النقل والأثر وعلوم اللغة العربية.
- ثورة أصحاب القراءة المعاصرة على النقل والأثر.
- اختلف أصحاب القراءة المعاصرة عن المتقدمين في أمور كثيرة، أهمها:

- إعجاز القرآن وقداسته: أصحاب القراءة المعاصرة يدعون إلى نزع القداسة عن القرآن ومعاملته على أنه نص يقبل النقد.
- عدم قبول أصحاب القراءة المعاصرة لعلوم القرآن التي تساهم في فهمه كعلم أسباب النزول.
- اعتماد أصحاب القراءة المعاصرة على مناهج دخيلة تعتمد الفكر وسيلة للفهم.
- أنتج لنا المتقدمون من المفسرين تفاسير عظيمة كتفسير الطبري وابن كثير والقرطبي وغيرها، وقد اعتمدوا في فهمهم للقرآن على الوحي وما صح من الضوابط كلغةِ العربِ وأساليبها وما كانت تفهمه وتدرك معانيه من الآيات لأنّ الخطاب أولّ ما نزل كان موجها إليها.
- لم ينتج لنا أصحاب القراءة المعاصرة تفاسير مهمّة تدل على مدى فهمهم للقرآن ونجاعة كل الفرضيات والاختيارات والمناهج التي اتبعوها، وإنما بقيت تلك الأفكار خيالا في ذهن كاتبها.

---

[1] المصدر نفسه، 9-10.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.